الإمام الطبرانى

أعلام الحديث

الإمام الحجة حافظ الدنيا الطبراني

الإمام، الحافظ، الثقة، الرحال، الجوال، محدث الإسلام، علم المعمرين، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي، الشامي، الطبراني، صاحب المعاجم الثلاثة.

ولد بمدينة عكا، في شهر صفر، سنة ستين ومائتين.

بدأ في سماع الحديث مبكرا، فبعد أن أتم حفظ القرآن الكريم في الثالثة عشر من عمره، بدأ في سماع الحديث منذ سنة ثلاث وسبعين، رحل كثيرًا في طلب الحديث ، وظلت رحلته في طلب الحديث علي مدار ستة عشر عاما، وكتب عمن أقبل وأدبر، وبرع في هذا الشأن، وجمع وصنف وعمر دهرًا طويلا، وازدحم عليه المحدثون، ورحلوا إليه من الأقطار.

وخلال رحلته العلمية التقي خلالها أصحاب يزيد بن هارون، وروح بن عبادة، وأبي عاصم، وحجاج بن محمد، وعبد الرزاق، ولم يزل يكتب حتى كتب عن أقرانه.

وسمع الحديث من هاشم بن مرثد الطبراني، وأحمد بن مسعود الخياط، وأحمد بن عبد الله اللحياني وعمرو بن ثور، وإبراهيم بن أبي سفيان صاحبي الفريابي، وسمع من نحو ألف شيخ أو يزيدون.

وممن روى عنهم: أبي زرعة الدمشقي، وإسحاق بن إبراهيم الدبري، وإدريس بن جعفر العطار، وأحمد بن زياد الرقي الحذاء، وإبراهيم بن سويد الشبامي، وإبراهيم بن محمد بن بزة الصنعاني،

والحسن بن عبد الأعلى البوسي أصحاب عبد الرزاق، وبكر بن سهل الدمياطي، وحبوش بن رزق الله المصري، وأبي الزنباع روح بن الفرج القطان، والعباس بن الفضل الأسفاطي، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، وعبد الله بن الحسين المصيصي، وعبد الرحيم بن عبد الله البرقي، سمع منه: السيرة لكنه وهم، وسماه أحمد باسم أخيه، وعلي بن عبد الصمد ما غمه، وأبي مسلم الكجي، وإسحاق بن إبراهيم المصري القطان، وإدريس بن عبد الكريم الحداد، وجعفر بن محمد الرملي القلانسي، والحسن بن سهل المجوز، وزكريا بن حمدويه الصفار، وأبي عبد الرحمن النسائي، وعبيد الله بن رماحس، وهارون بن ملول وغيرهم كثير.

وسمع: بالحرمين، واليمن، ومدائن الشام ومصر، وبغداد، والكوفة، والبصرة، وأصبهان، وخوزستان، وغير ذلك، ثم استوطن أصبهان، وأقام بها نحوًا من ستين سنة ينشر العلم ويؤلفه، وإنما وصل إلى العراق بعد فراغه من مصر والشام والحجاز واليمن، وإلا فلو قصد العراق أولا لأدرك إسنادًا عظيمًا.

وحدث عنه: أبو خليفة الجمحي، والحافظ بن عقدة، وأحمد بن محمد بن إبراهيم الصحاف، وابن مندة، وأبو بكر بن مردويه، وأبو عمر محمد بن الحسين البسطامي، وأبو نعيم الأصبهاني، وأبو الفضل محمد بن أحمد الجارودي، وأبو سعيد النقاش، وأبو بكر بن أبي علي الذكواني، وأحمد بن عبد الرحمن الأزدي، والحسين بن أحمد بن المرزبان، وأبو الحسين بن فاذشاه، وأبو سعد عبد الرحمن بن أحمد الصفار، ومعمر بن أحمد بن زياد، وأبو بكر محمد بن عبد الله الرباطي، والفضل بن عبيد الله بن شهريار، وعبد الواحد بن أحمد الباطرقاني، وأحمد بن

محمد بن إبراهيم الأصبهاني، وعلي بن يحيى بن عبدكويه، ومحمد بن عبد الله بن شمة، وبشر بن محمد الميهني، وخلق كثير.

ومن مؤلفاته:

- المعجم الكبير:

وهو مرتب على مسانيد الصحابة بحسب حروف المعجم، عدا مسند أبي هريرة فإنه أفرده في مصنف مستقل لكثرة أحاديثه، وهو أكبر معاجم الدنيا، ويقال بأن فيه ستين ألف حديث، وقيل ثمانين ألفا، ولكننا، كما يقول الشيخ السعد حفظه الله، لا نستطيع أن نحدد عدد أحاديثه بالضبط، لأن هناك جزءا مفقودا منه.

ورغم ذلك فإن عدد المرفوعات عند أحمد أكبر من عددها عند الطبراني، فالمسند، هو أكبر كتاب في المرفوعات، وأما إذا ضم إلى هذه المرفوعات، الآثار عن الصحابة وما قيل في أوصافهم ووفياتهم وما إلى ذلك، فإن عدد أحاديث معجم الطبراني الكبير أكبر.

- المعجم الأوسط: وهو مرتب على أسماء شيوخ الطبراني، وهم حوالي ألفين، ويقال بأن فيه ثلاثين ألف حديث، وهو من مظان الغريب، وقد أثر عن الطبراني أنه قال: هذا الكتاب روحي (أي المعجم الأوسط).

- المعجم الصغير:

وقد خرج فيه عن ألف من شيوخه، مقتصرا غالبا على حديث واحد لكل منهم.

ومن أبرز معالم منهج الطبراني: في هذه المعاجم الثلاثة أنه قسَّم الصحابة إلى قسمين:

قسم له رواية، وقسم ليس له رواية، فهو معجم صحابة.

فما كان فيه من صحابة ليس لهم رواية، فإن الطبراني يعرف بهم من خلال كتب السير والمغازي.

وأما من لهم رواية: فهم إما: مكثرون من الرواية، وهؤلاء لا يخرج لهم إلا النزر اليسير وربما لا يخرج لهم أصلا، لأنه أفردهم بمسانيد خاصة كأبي هريرة .، ومن أبرز الأمثلة على عدم استيعابه لأحاديث المكثرين: أنه لم يخرج لأنس . إلا نحو 40 حديثا فقط، وقد يسهب أحيانا في ذكر أحاديث المكثرين كعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو .، ولكن الأصل في معجمه، عدم الإسهاب في ذكر رواية المكثرين , وجدير بالذكر أن الطبراني ، يورد الأحاديث دون ترتيب ، إلا في الصحابة المكثرين ممن لهم تلاميذ كثر ، وهؤلاء التلاميذ بدورهم مكثرون، فإنه يرتب أحاديث الصحابي تبعا لمن رووا عنه، فيرتب أحاديث ابن عباس ، على سبيل المثال، طبقا للرواة عنه، كعكرمة وسعيد بن جبير.

مقلون من الرواية: وهؤلاء يحرص كل الحرص على استيفاء مروياتهم.

وعادة ما يبدأ بتعريف الصحابي وذكر اسمه كاملا ، وكنيته ، وأوصافه ، وهل يخضب أم لا، وما إلى ذلك ، ثم يذكر فضائله ، إن ورد فيها أحاديث، ويذكر مغازيه ، ثم يورد أحاديثه ، وما سبق ذكره من الصفات، يورده الطبراني مسندا، فكل قول يرويه في ترجمة أحد الصحابة مسندا إلى قائله ، هو حديث ، ولو كان لراو متأخر ، كقول يونس بن بكير: توفي معاذ . سنة 18 هـ.

بدأ بذكر أحاديث الخلفاء الأربعة .، ومن ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة .، فلم يلتزم الترتيب الأبجدي في ذكر العشرة .، ومن ثم أتبعهم بذكر أحاديث بقية الصحابة مبتدئا بأحاديث من عرفت أسماؤهم من رجال الصحابة .، ثم أحاديث من عرفت كناهم ، ثم أحاديث المبهمين من رجال الصحابة ، ثم أحاديث من عرفت أسماؤهن من الصحابيات ، ثم من عرفت كناهن ، ثم المبهمات من الصحابيات.

اعتمد على الحرف الأول فقط في ترتيبه الأبجدي لأسماء من يروي عنهم، سواءا كانوا من الصحابة، كما في معجمه الكبير، أو من شيوخه كما في معجمه الأوسط، فهو قد يقدم أنس . على آبي اللحم .، على سبيل المثال ، رغم أن (آب)، مقدمة على (أن) إذا أخذنا في الاعتبار الترتيب الأبجدي كاملا.

كما رتب الطبراني أحاديث معاجمه على الأبواب الفقهية أحيانا ، وليس دائما.

- كتاب السنة.
- كتاب الدعاء.
- كتاب الطوالات.
- كتاب مسند شعبة.
- مسند سفيان.
- كتاب مسانيد الشاميين.
- كتاب التفسير.
- كتاب الأوائل.
- كتاب الرمي.
- كتاب المناسك.
- كتاب النوادر.
- كتاب دلائل النبوة.
- كتاب عشرة النساء.
- مسند عائشة.
- مسند أبي هريرة.
- مسند أبي ذر.
- معرفة الصحابة.
- العلم.
- الرؤية.
- فضل العرب.
- الجود.
- الفرائض.
- مناقب أحمد.
- كتاب الأشربة.
- كتاب الألوية في خلافة أبي بكر وعمر.

وكانت للطبراني مكانة كبيرة لدي العامة والخاصة علي حد سواء فقد جعل له ولاة الأمر راتبا شهريا يستعين به علي شئون الحياة فقد قال أبو بكر بن مردويه في (تاريخه): لما قدم الطبراني قدمته الثانية سنة عشر وثلاث مائة إلى أصبهان قبله أبو علي أحمد بن محمد بن رستم العامل، وضمه إليه، وأنزله المدينة، وأحسن معونته، وجعل له معلوما من دار الخراج فكان يقبضه إلى أن مات.

وقد كنى ولده محمدا أبا ذر، وهي كنية والده أحمد.

مواقف من حياته:

كنت أنام على البواري :

وقد أكثر الطبراني من رواية الحديث فقد قال أبو بكر بن أبي علي: سأل أبي أبا القاسم الطبراني عن كثرة حديثه، فقال: كنت أنام على البواري، ثلاثين سنة.

حتى يحضر الطبراني:

قال أبو نعيم الحافظ: سمعت أحمد بن بندار يقول: دخلت العسكر سنة ثمان وثمانين ومائتين، فحضرت مجلس عبدان، وخرج ليملي، فجعل المستملي يقول له: إن رأيت أن تملي فيقول: حتى يحضر الطبراني.

قال: فأقبل أبو القاسم بعد ساعة متزرا بإزار مرتديا بآخر، ومعه أجزاء، وقد تبعه نحو من عشرين نفسا من الغرباء من بلدان شتى حتى يفيدهم الحديث.

قام واعتذر إليه وندم:

قال أبو زكريا يحيى بن مندة: سمعت مشايخنا ممن يعتمد عليهم يقولون: أملى أبو القاسم الطبراني حديث عكرمة في الرؤية، فأنكر عليه ابن طباطبا العلوي، ورماه بداوة كانت بين يديه، فلما رأى الطبراني ذلك واجهه بكلام اختصرته، وقال في أثناء كلامه: ما تسكتون تشتغلون بما أنتم فيه حتى لا يذكر ما جرى يوم الحرة. فلما سمع ذلك ابن طباطبا، قام واعتذر إليه وندم.

وكان هذا كالمغفل:

ثم قال ابن مندة: وبلغني أن الطبراني كان حسن المشاهدة، طيب المحاضرة، قرأ عليه يوما أبو طاهر بن لوقا حديث: كان يغسل حصى جماره فصحفه، وقال: خصي حماره، فقال: ما أراد بذلك يا أبا طاهر.

قال: التواضع، وكان هذا كالمغفل.

وإياك يا أبا القاسم:

قال الطبراني يوما لابن مندة: أنت ولدي، قال: وإياك يا أبا القاسم، يعني: وأنت.

فخرجت ولم أعد إليه بعد:

قال ابن مندة: سمعت الطبراني يقول: لما قدم أبو علي بن رستم بن فارس، دخلت عليه، فدخل عليه بعض الكتاب، فصب على رجله خمس مائة درهم، فلما خرج الكاتب أعطانيها، فلما دخلت بنته أم عدنان، صبت على رجله خمس مائة، فقمت، فقال: إلى أين؟

قلت: قمت لئلا يقول: جلست لهذا، فقال: ارفع هذه أيضا، فلما كان آخر أمره، تكلم في أبي بكر وعمر ببعض الشيء، فخرجت ولم أعد إليه بعد.

فوددت أن الوزارة لم تكن:

قال أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي: سمعت الأستاذ ابن العميد يقول: ما كنت أظن أن في الدنيا حلاوة ألذ من الرئاسة والوزارة التي أنا فيها، حتى شاهدت مذاكرة أبي القاسم الطبراني وأبي بكر الجعابي

بحضرتي، فكان الطبراني يغلب أبا بكر بكثرة حفظه، وكان أبو بكر يغلب بفطنته وذكائه حتى ارتفعت أصواتهما، ولا يكاد أحدهما يغلب صاحبه، فقال الجعابي: عندي حديث ليس في الدنيا إلا عندي، فقال: هات، فقال: حدثنا أبو خليفة الجمحي، حدثنا سليمان بن أيوب، وحدث بحديث، فقال الطبراني: أخبرنا سليمان بن أيوب، ومني سمعه أبو خليفة، فاسمع مني حتى يعلو فيه إسنادك، فخجل الجعابي، فوددت أن الوزارة لم تكن، وكنت أنا الطبراني، وفرحت كفرحه، أو كما قال.

أبو القاسم ببلدكم وأنت لا تسمع منه:

قال أب و جعفر بن أبي السري: لقيت ابن عقدة بالكوفة، فسألته يوما أن يعيد لي فوتا، فامتنع، فشددت عليه، فقال: من أي بلد أنت؟

قلت: من أصبهان.

فقال: ناصبة ينصبون العداوة لأهل البيت.

فقلت: لا تقل هذا فإن فيهم متفقهة وفضلاء ومتشيعة.

فقال: شيعة معاوية؟

قلت: لا والله، بل شيعة علي، وما فيهم أحد إلا وعلي أعز عليه من عينه وأهله، فأعاد علي ما فاتني، ثم قال لي: سمعت من سليمان ابن أحمد اللخمي؟ فقلت: لا، لا أعرفه.

فقال: يا سبحان الله!! أبو القاسم ببلدكم وأنت لا تسمع منه، وتؤذيني هذا الأذى، بالكوفة ما أعرف لأبي القاسم نظيرا، قد سمعت منه، وسمع مني، ثم قال: أسمعت (مسند) أبي داود الطيالسي؟

فقلت: لا.

قال: ضيعت الحزم، لأن منبعه من أصبهان. وقال: أتعرف إبراهيم بن محمد بن حمزة؟ قلت: نعم. قال: قل ما رأيت مثله في الحفظ.

هذا تعنت على حافظ حجة:

قال أبو عبد الله الحاكم: وجدت أبا علي النيسابوري الحافظ س يئ الرأي في أبي القاسم اللخمي، فسألته عن السبب، فقال: اجتمعنا على باب أبي خليفة، فذكرت له طرق حديث (أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء)، فقلت له: يحفظ شعبة عن عبد الملك بن ميسرة، عن طاووس، عن ابن عباس؟

قال: بلى، رواه غندر، وابن أبي عدي.

قلت: من عنهما؟

قال: حدثناه عبد الله بن أحمد، عن أبيه، عنهما، فاتهمته إذ ذاك، فإنه ما حدث به غير عثمان بن عمر عن شعبة.

قلت: هذا تعنت على حافظ حجة.

وقد أثني عليه كثير من أرباب العلم والحديث فقد قال أبو بكر بن أبي علي المعدل: الطبراني أشهر من أن يدل على فضله وعلمه، كان واسع العلم كثير التصانيف.

كم عدد الجذوع التي في السقف؟:

وقيل: ذهبت عيناه في آخر أيامه، فكان يقول: الزنادقة سحرتني، فقال له يوما حسن العطار - تلميذه - يمتحن بصره: كم عدد الجذوع

التي في السقف؟

فقال: لا أدري، لكن نقش خاتمي سليمان بن أحمد.

قلت: هذا قاله على سبيل الدعابة.

وليس بالغفاري:

قال: وقال له مرة: من هذا الآتي يعني: ابنه -؟

فقال أبو ذر: وليس بالغفاري.

وقد عاش الطبراني مائة عام وعشرة أشهر.

وتوفي الطبراني لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ستين وثلاث مائة بأصبهان، ومات ابنه أبو ذر في سنة تسع وتسعين وثلاث مائة عن نيف وستين سنة.

ورثاه الصاحب بقوله:

قَد وَجَدْنا في مُعْجَمِ الطبراني :: ما فَقَدْنا في سائِرِ البُلْدانِ
بِأسانِيدَ لَيْس فيها :: ومُتونٍ إذا رُفعْنَ مِتانِ (1)

* * *

(1) ذكر أخبار أصبهان : 1 / 335- 336، طبقات الحنابلة : 2 / 49- 51، الأنساب : 8 / 199- 200، المنتظم : 7 / 54، معجم البلدان : 4 / 18- 19، وفيات الاعيان : 2 / 407، تذكرة الحفاظ: 3 / 912- 917، دول الإسلام: 1 / 223، ميزان الاعتدال: 2 / 195، العبر : 2 / 315- 316، مرآة الجنان : 2 / 372، البداية والنهاية : 11 / 270، غاية النهاية في طبقات القراء : 1 / 311، لسان الميزان : 3 / 73- 75، النجوم الزاهرة : 4 / 59- 60، طبقات الحفاظ : 372- 373، طبقات المفسرين للداوودي: 1 / 198- 201، شذرات.
الذهب : 3 / 30، هدية العارفين : 1 / 396، الرسالة المستطرفة : 38، 135- 136 وغيرها، تهذيب ابن عساكر: 6 / 242- 244.